الطرائق المتبعة

في الإشباب واطالة الحياة

عمل الخصية في الانسان واثرها في جسمه وعقله

للدكتور سركيس مرقص المطلي

عمل الانسان على إطالة الحياة منذ تكامل ادراكه ورأى الموت امامه يفغر فاه في كل يوم فيبتلع العدد العديد من ابناء هذه البشرية فكان يعمد الى امور شتى لا يلبث المستقبل ان يبين فسادها واذا تصفحنا تاريخ هذه القضية التي نحن بصددها واعني بها محاربة الشيخوخة رأينا ان عدداً من النوابغ استلّوا سيف الجهاد وتركوا أثراً لم تثبت ريح تحقيق ان عصفت عليه فمحته. ولا يزال الناس يتساءلون هل ثمّة من الوسائل ما يجعل أمد الحياة طويلاً وهل وجد العلماء لتجديد الشباب والفتية [1] سبيلاً ؟

يصعب في حالة العلم الحاضرة ان يجاب عن هذين السؤالين لان كنه الحياة لم يحلّ بعد وامر الروح ما زال سرّاً غامضاً وسوف يبقى في اعتقادنا لغزاً ما دامت الحياة على وجه الكرة كما جاء في القرآن الكريم : « ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي »

على أن حل قضية الاشباب المعقدة وسبر غورها مرتبطان بجواهر الحياة والروح لذلك كان البحث في هذا الامر والتنقيب فيه والاجابة عن هذين السؤالين امراً معقداً. ولما لم يستطع الباحثون ايضاح ذلك وجّهوا ابحاثهم شطر الاسباب التي تحدد عمر الانسان وتؤجل ظهور امارات الهرم وقد اشرنا في المقالين السابقين عن الإشباب الى العوامل العاملة في تنظيم عمر الانسان وانّا ان منها ما كانت باطنية ومنها ما هي خارجية . اما العوامل الباطنية فلا سلطة لنا عليها اليوم وقد يكشف في الغد ما ليس في الحسبان على ان العلماء بعد ان عرفوا ما للغرويات من الشأن في حفظ قوة الانسان سعوا الى ايجاد وسائل تجدد الغرويات في الخلايا الشيخة وقد توصلوا الى ان يهبوا الخلايا وسيلة تساعدها على التكاثر وما ينشأ عنهُ من اكتساب النسج والاعضاء الشيخة قوة ونشاطاً يفتيانها

وقد توصل العلماء الى تحقيق شطر من هذه الفكرة بطرائق خاصة يستند معظمها الى تضريج

---

(١) الفتية يعني الاشباب ولم ترد هذه الكلمة ايضاً في كتب اللغة غير ان قول ادهم بن محرز الباهلي دليل على صحة هذا المعنى والقصة أن عبد الملك عابه على بياض رأسه وكان كالكتابة وقال له لو غيرت هذا الشيب فذهب فانتضب يراد ثم دخل عليه فقال له يا امير المؤمنين قد قلت بيتاً لم اقل بيتاً قبله والا اراني اقول بعده قال هات فأنشأ يقول :

ولما رأيت الشيب شيناً لاهله تفتيت وابتعت الشباب بدرهم

لجسم رسل (هورمونات) تفرزها الغدد التناسلية ومن هذه الطرائق طريقة براون سيكار وعمليات فورونوف وشتينخ ودوبلر الجراحية

﴿ طريقة براون سيكار ﴾ — اجرى العالم المذكور سنة ١٨٨٩ اختباراً على نفسه كان لهُ دويٌّ هائل في الاندية الطبية والصحف العلمية والجرائد اليومية فسال المداد وسوّد كثيرٌ من الصفحات واصبح في حين من الزمن شغل العلماء الاحيائيين الشاغل . وخلاصة هذا الاختبار ان براون حقن نفسه لما كان لهُ ٧٢ سنة من العمر بعصير الخصى فشعر أثر ذلك بنشاط في قواه وفي غريزته الجنسية وقد ذكر في محاضراته ما توصل اليهِ فأعقب ذلك ذيوع هذه الطريقة بين عدد كبير من الشيوخ ولجأ الى الاستشفاء بها رهط عظيم منهم غير انهم لم يجدوا فيها ما يسلي عزاءهم فأهمل شأنها وعادت نسياً منسيًّا هذا وان كان اختبار براون سيكار لم يحقق الغاية ولم يبلغ الارب الا انهُ نبه الفسيولوجيين والاطباء الى عمل الغدد الصم الحيوي فاتجهت الافكار الى الاستعضاء [1] وبعثت من جديد هذه الوسيلة التي كان لها شأن كبير في القرون الوسطى ومقام في الطب القديم وقيل منذ ذلك الحين بالافراز الخصوي الداخلي . على اننا نرى ان فكرة تأثير الخصية في نشاط الجسم ومظهر الذكورة ليست حديثة العهد بل عرف الاطباء الاقدمون الشيء الكثير عن ذلك

ذكر هذا التأثير اطباء العرب وعلماؤهم في كتبهم حتى ان الجاحظ بحث في كتابهِ الحيوان عن الخصاء وما يعتري الانسان وبعض الامم (اجناس الحيوان) بعده بحثاً مسهباً لنقل طرفاً منهُ

كل ذي درج منتة وقيل ذي دفر [2] وصنان وكريه المشمة كالنمر وما اشبههُ فانهُ متى خصي نقص نتنه وذهب صنانه غير الانسان فان الخصيَّ يكون انتن وصنانه احدَّ ويعم ايضاً خبث العرق سائر جسده حتى لتوجد لأجسادهم رائحة لا تكون لغيرهم فهذا هذا وكل شيء من الحيوان يخصى فان عظمه يدقُّ فاذا دق عظمه استرخى لحمه وتبرأ من عظمه وماد وخصاً رطباً بعد ان كان عضلاً صلباً والانسان اذا خصي طال عظمه وعرض فخالف ايضاً جميع الحيوان من هذا الوجه وتعرض للخصيان ايضاً طول اقدام واعوجاج في أصابع اليد والتواء في اصابع الرجل وذلك من اول طعنهم في السن وتعرض لهم سرعة التغير والتبدل وانقلاب من حد الرطوبة واليضاضة وملاسة الجلد وصفاء اللون ورقته وكثرة الماء وبريقه الى التكرش والكمود والى التقبض والتحدد والى الهزال وسوء الحال

والخصي لا يصلع كما لا تصلع المرأة واذا قطع العضو الذي كان بهِ خللاً تامًّا أخرجه ذلك من اكثر معاني الفحول وصفاتهم واذا أخرجهُ من ذلك الكمال صيره كالبغل الذي ليس هو حماراً ولا فرساً فصير طباعه مقسومة على طباع الذكر او الانثى وربما لم يخلص لهُ الخلق ولم يصف حتى يصير كالخلق من اخلاق الرجال ويلحق بشيء من اخلاق النساء ولكنهُ يقع ممزوجاً مركباً فيخرج الى ان يكون مذبذباً لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء

(١) تأويل opothérapie عملية العلاج بمفرزات اعضاء الجسم (٢) الدفر من دفر الشيء دفراً انتنت رائحته والدفر على وزن فلس اسم منه

ثم قال وللانسان قوى معروفة المقدار وشهوات بصروفة في وجوه حاجات النفوس متسومة عليها لا يجوز تعطيلها وترك استعمالها ما كانت النفوس قائمة بطبائعها وبزاجاتها وحاجاتها وباب النكح من اكبرها واقواها واعمها ويدخل في باب النكح ما في طبائعهم من طلب الولد لما طبع الله تعالى بني آدم عليه من حب الذرية وكثرة النسل

وعامة اكتساب الرجال وبناقاتهم وهممهم وتصنعهم وتحسينهم لما يكون انما هو مصروف الى النساء والاسباب المتعلقة بالنساء[1] ولو لم يكن الا التنمص[2] والتطيب والتطرز والتخضب والذي يعملها من الطيب والصبغ والحلي والكساء والفرش والآنية لكان في ذلك ما كفى ولو لم يكن له الاهتمام بحفظها وحراستها وخوف العار من جنايتها والجناية عليها لكان في ذلك المؤونة العظيمة والنفقة الشديدة فاذا بطل العضو الذي من اجله يكون اشتغال النفس بالاصناف الكثيرة من اللذة والالم فباضطرار ان تعلم ان تلك القوى لم تبطل من التركيب فاذا صرفت من وجه فاضت من وجه ولا سيما اذا جمت وغازعت ولا بدّ اذا زخرت وغزرت وطفت وطمت من ان تفيض او تفتح لنفسها باباً وليس بعد المنكح باب له موقع كموقع المطعم فاجتمعت تلك القوى التي كانت للنكح وما يشتمل عليه باب المنكح الى القوة التي عند المطعم فاذا اجتمعت القوتان في باب واحد كان البلغ في حكمه وابعد غاية في سبيله ولذلك صار الخصي آكل من اخيه لأمه وابيه وعلى قدر الاستيراء يكون هضمه وعلى قدر حاجة طبعه وحاجة الحرارة المتولدة عن الحركة يكون الاستيراء لأن الشهوة من اتون ابواب الاستيراء والحركة من اعظم الحرارة ودوام الأكل في الاناث اعم منه في الذكور وكذلك النساء في البيوت دون الرجال وما ذلك ان الرجل يأكل في المجلس الواحد ما لا تأكل المرأة ولكنها تستوفي ذلك المقدار وتربي عليه متقطعاً غير منظوم وهي بدوام ذلك منها يكون حاصل طعامها اكثر وهن يناسبن الصبيان في هذا الوجه لأن طبع الصبي سريع الهضم سريع الكلب فصير مدة الأكل قليل مقدار الطعم فللمرأة كثرة معاودتها ثم تبين بكثرة مقدار المأكول فيصير للخصي نصيبان نصيبه من شبه النساء ثم اجتماع قوى شهوتيه في باب واحد اعني شهوة المنكح التي تحولت وشهوة المطعم

ويعرض للانسان عند قطع ذلك العضو تغير الصوت حتى لا يخفى على من سمعه من غير ان يرى صاحبه انه خصي وان كان الذي يخاطبه ويناقله الكلام اخاه او ابن عمه او بعض اقرابه من لحمة جنسه. ومتى خصي قبل الانبات لم ينبت واذا خصي بعد استحكام نبات الشعر في مواضعه تساقط كله الا شعر العانة فانه وان نقص من غلظه ومقدار عدده فان الباقي كثير ولا يعرض ذلك لشعر الرأس فان شعر الرأس والحاجبين واشفار العينين يكون مع الولادة وانما يعرض لما يتولد من فضول البدن وتكون مقاطع شعر رأسه ومنتهى حدود قصاصه كمقاطع شعر المرأة ومنتهى قصاصها. ثم يتول والخصيان مع جودة آلاتهم ووفارة طبائعهم في معرفة ابواب الخدمة وفي استواء حالهم في باب

(١) ليس في ذلك ما يشير الى مذهب فرويد (٢) التنمص نتف الشعر في سبيل الزينة كما تفعل النساء الآن بحواجبهن

المماليك لم نرَ احداً منهم قط افلد في صناعة تنسب الى بعض المشقة وتضاف الى شيء من الحكمة مما يعرف ببعد الروية والغوص بادمة الفكرة الا ان الخصي من صباه يحسن صنعة الدبوق ويجيد دعاة الحمام الضواري وما شئت من صغار الصناعات. ورأيت ان الخصاء جذب الخصي الى حب الحمام وعمل الكك والهراش بالديوك وهذا شيء لم يخبر منهُ على عرق وانما قاده اليه قطع ذلك العضو وتعرض للخصي سرعة الدمعة وذلك من عادة طبائع الصبيان ثم النساء فانهُ ليس بعد الصبيان اغزر دمعة من النساء وكفاك بالشيوخ الهرمين ويعرض للخصي العبث واللعب بالطير وما اشبه ذلك من اخلاق النساء وهو من اخلاق الصبيان أيضاً ويعرض لهُ الشره عند الطعام والبخل عليه والشح العام في كل شيء وذلك من اخلاق الصبيان قال الشاعر

كأن ابا رومان قيساً اذا غدا خصي براذين يقاد رهيص
له معدة لا يشتكي الدهر ضعفها وحنجرة بالدورقين خموص

ويعرض للخصي سرعة الغضب والرضا وذلك من اخلاق الصبيان والنساء ويعرض لهُ حب النميمة وضيق الصدر بما اودع من السر وذلك من اخلاق الصبيان والنساء. ومن العجب انهم مع خروجهم من شطر طبائع الرجال الى طبائع النساء لا يعرض لهم التخنث وقد رأيت غير واحد من الاعراب مخنثاً متفككاً ومؤنثاً يسيل سيلاً ولم ار خصياً قط مخنثاً ولا سمعت به ولا ادري كيف ذلك ولا اعرف المانع منه ولكن كان الامر في ذلك الى ظاهر الرأي ولقد كان ينبغي ان يكون ذلك فيهم عاماً وما اكثر ما يعرض للخصيان البول في الفراش وغير ذلك ولا سيما اذا بات أحدهم ممتلئاً من النبيذ ويعرض لهم ايضاً حب الشراب والافراط في شهوته وشدة النهم ويعرض للخصي شدة الاستخفاف بمن لم يكن في سلطان عظيم او مال كثير أو جاه عريض

لقد اكثرنا من أقوال الجاحظ أمام الاديب والعالم ولنا في ذلك عدة غايات: أولها لنثبت أن علماء العرب وادباءهم وصفوا ما يعتري الانسان بعد الخصاء من اضطراب حالتيه الروحية والجسدية وصفاً مسهباً لا نجد في الكتب المتداولة بين أيدينا ما يماثله ولو اكتفينا بالتلميح الى ذلك تلميحاً بسيطاً لشك الكثيرون في هذه الدعوى ولكان من يناهضها لا من المؤلفين الاجانب فحسب بل من الكتاب الوطنيين ايضاً. ثانيها لنظهر ان الطريقة المستحدثة في الكتابة العلمية التي وسموها بمناق العلم والادب هي طريقة قديمة جرى عليها الجاحظ وغيره من علماء العرب وذلك لانهم تذوقوا الادب والعلم معاً. على ان اكثر أدبائنا كما يقول العالم والاديب اسماعيل مظهر لم يتذوقوا العلم ومعظم علمائنا لم يتذوقوا الأدب في الغالب. ثالثها لنبين ان مذهب فرويد ليس من مبتكرات المؤلف المذكور بل قال به الجاحظ من قبل كما أشرنا الى ذلك في هذا المقال

فلو تبصرت أيها القارىء الكريم بعد ذلك في كتب الجاحظ وفي بعض ما نقلته لك من كلامه ونقبت عنهُ تنقيباً لرأيت انهُ قد استهلَّ بعضه بقوله زعموا فذكر اموراً غريبة رغب في نقلها ليجيء

كتابهُ جامعاً بين الادب والعلم والرواية لم يفرط في شيء مما قيل في عهده وانهُ استمتع البعض الآخر بقوله قالوا وكأني به يقصد أموراً لا يبعد وقوعها ويقول لك تارةً ورأينا ويعني به ما اختبره بنفسه

أرجع بك الآن أيها القارىء الكريم بعد أن بينت لك أقوال هذا الامام ونقلت لك ما ذكرهُ عن صلة الخصية بالنشاط والصفات الجنسية الى بعض الطرائق الحديثة وهي تستند كما بينت لك في صدر هذا المقال الى عمل الخصية وأثره في الجسم

﴿ طريقة شتيناخ ﴾ : بحث النسل وبوان منذ ربع قرن عن بناء الخصية النسيجي فوجدا في باطنها خلايا مفرزة خاصة سموها الخلايا الخلالية وقد عرفا ان هذا الافراز يحفز الصفات الثانوية والغريزة الجنسية على الظهور ثم بحث شتيناخ عن هذا الافراز واثره في الوجود فاتضحت لهُ حقيقته واطلق اثر اقتناعه بوجود هذا الافراز على الغدة الخلالية اسم غدة البلوغ . ثم نقَّب هذا الاستاذ عن اختبار برأون سيكار فلم يجده عارياً عن الصحة . ففكر حينئذٍ في ايجاد وسيلة لايقاف الغدة المذكورة وتأجيل فسادها الشيخي فوجد ان خير وسيلة لذلك هي قطع الأسهرين[1] لأن قطعهما ينبه العناصر الخلالية ذات الشأن في هذا الافراز ثم جرَّب هذه الطريقة في الكلاب الهرمة فكانت نتائجها حسنة ثم حقق اختباره كثير من الفسيولوجيين وذكر كنود ساند Knud Sand من كوبنهاغن ما طرأ على كلب اجريت لهُ هذه العملية فقال : اخذت كلب حرس عمره اثنتا عشرة سنة وكان نشيطاً قوياً حتى سنته العاشرة ثم اخذت علائم الهرم تدبُّ فيهِ فصار ضعيفاً هازلاً مغمض العينين كسولاً ، متناثر الشعر ، جاف الجلد ، مجمده وعادت حركاتهُ صعبة لا يحسك بوله وبرازه . ولم يكن لضعف الحيوان من سبب آخر غير هرمه لانهُ كان سليماً من جميع الأمراض العضوية فكان بذلك خير حيوان للاختبار. اجريت العملية لهذا الحيوان وقطع اسهراه فتحسنت حالته بعد اربعة اسابيع وعادت اليهِ قواه الطائرة وشهوته للاستسراء . وكان قد راقب الاستاذ هنسن Hansen هذا الكلب وخصه قبل العملية ورأى عجزه فكتب عنهُ ما يأتي : لقد تبدَّل طرف (اسم الكلب) تبدلاً عظيماً فصارت نظراتهُ حادة وعيناه يقظتين ونما شعره وعاد دهنيًّا لامعاً وزالت البقع الجرد من جسده واصبح جلده ليناً وصار اغتذاؤه طبيعيًّا كأن الحياة قد دبَّ دبيبها فيهِ

وذكر أيضاً فالديمير برغاور (Valdimir Bergauer) نتائج اختباراته في الكلاب الهرمة فكانت مطابقة للاختبار المار الذكر . وكان الكلب المجبور مصاباً بساد[2] مركزي في عينه اليسرى فشفي منه . وقد شاهد هذه الحادثة مارمس (Harms) وشتيناخ (Steinach) ثم اختبر العلماء تأثير هذه العملية في الجرذ . فجاءت النتائج مؤيدة لما تم في الكلاب. ولما تحقق العلماء اثر هذه الطريقة الطيب في الحيوان جربوها في الانسان ولكنهم لم يحصلوا على نتائج مشجعة . وقد شاهد ليختنشتين Lichtenstein بعض آثار التفتية في ثلاثة من مبضوعيه [للبحث تتمة]

(١) تأويل Canal déférent (٢) تأويل Cataracte